شاهد
على العصر

إطلالة على دور الطلاب فى العمل الوطنى
مظاهرات الطلاب فبراير ١٩٦٨

بقلم . محمد أيوب مصطفى

- أمين اتحاد طلاب الجمهورية العربية المتحدة ١٩٦٠
- عضو الهيئة التنفيذية للاتحاد العام للطلبة العرب فى أوربا ١٩٦٣/٦٥

إطلالة على دور الطلاب فى العمل الوطنى

مظاهرات الطلاب فبراير ١٩٦٨

على مدى التاريخ الحديث والمعاصر كان الطلاب وما يزالون أمل الأمة ومصدر عزها ورجائها، وهم ضميرها الحى؛ ففيهم تتجسد المثل والقيم والمبادئ التى لا ترتبط بالمصالح الشخصية، ولا تحسبا لرضى، غير رضى الله ثم الوطن.

وقد سجل ذلك فى صفحات تاريخنا الحديث، لمصرنا المحروسة مع بداية القرن العشرين، إبان حقبة الاستعمار البريطانى، حيث خيم اليأس والإحباط مع التململ والرفض للاستعمار وأعوانه، حين قام طلاب مصر بقيادة زعيمهم مصطفى كامل بالتصدى للاستعمار، وإيقاظ شعله الكفاح والنضال ضد المستعمر الأجنبى؛ من خلال تأسيس نادى المدارس العليا عام ١٩٠٦ الذى التف حوله كل وطنى يدعو لاستقلال مصر وطرد المستعمر بكافة وسائل الاحتجاج، وشرح المطالب الوطنية المصرية فى الداخل والخارج ثم امتد كفاح الطلاب دعماً وانتصاراً للشعب المصرى إبان ثورة ١٩١٩، ثم ما تلى ذلك من دور مؤتمر للقيادات الطلابية المصرية بين الأحزاب فى منتصف الثلاثينات ووضع تلك الأحزاب أمام مسئولياتها التاريخية، وقد تم عقدت معاهدة ١٩٣٦، مع إرهاصات بحرب عالمية اندلعت نيرانها فى سبتمبر ١٩٣٩ واستطالت حتى عام ١٩٤٥، وما تخلل تلك الحرب من انعكاسات على الحياة السياسية فى مصر، وبعد انتهاء الحرب أخذ الشعب المصرى يطالب برحيل المستعمر الذى تنكر لكل وعوده وسط اختلافات وتخاذلات الأحزاب، حينذاك انتفض الطلاب ضد الاحتلال البريطانى بالاحتجاجات والمظاهرات الصاخبة فى جميع أرجاء مصر، ولعلنا نتذكر حادثة كوبرى عباس" فبراير ١٩٤٥" واستشهاد طلاب الجامعة برصاص الاستعمار، وقد عد يوم ٢١ فبراير يوما للطالب العالمى تضامنا

وتقديراً من طلاب العالم لكفاح ونضال طلاب مصر.

وبعد أن قامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، شهدت الحركة الطلابية المصرية اختلافًا نوعيًا عن ذى قبل؛ حيث تم حل الأحزاب السياسية فى العام التالى ١٩٥٣، وما تلى ذلك من تغيير فى المناخ السياسى ساد مناخ هادئ بوجه عام اللهم إلا من بعض التحركات السياسية لبعض قوى اليمين أو اليسار المناوئ للثورة.

ودارت الأيام سريعا ووصلنا إلى مشارف العام ١٩٥٦ حيث كانت الشجاعة والبطولة التى كشفت عن أهمية ثورة يوليو وكفاءة قيادتها، فرحل الاستعمار البريطانى عن مصر، وأعقب ذلك تأميم قناة السويس ولحقها مباشرة العدوان الثلاثى، وهنا نعود مرة أخرى لدور الطلاب الذين التحقوا بالمقاومة الشعبية للمعتدين فى مدن القنال، ومن منا ينسى الشهيد البطل جواد حسنى الذى ذهب إلى بورسعيد واستشهد بها بعد ما قام به من بطولات وأعمال فدائية ضد قيادات العدوان.

لقد فشلت مؤامرة فرنسا وبريطانيا وذيلهم فى المنطقة إسرائيل، وانسحبوا من القنال واعتبر يوم ٢٣ ديسمبر عيدا قوميا لبورسعيد، تحية وإجلالا وتقديرا لما قدمته من بذل وفداء، ودوت أصداء تأميم قناة السويس فى جميع أنحاء العالم خصوصا لدى دول العالم الثالث والمتطلعة للاستقلال والتقدم، واسترجاع ثرواتها المستباحة من قبل الاستعمار؛ واستقلت دولا كثيرة فى آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية، وبدأ المد الوحدوى ينتشر فى ربوع الأمة العربية، ازدهرت حركة عدم الانحياز، ارتفع صوت الشعوب المقهورة، كل ذلك ومصر فى قلب كل هذه الأحداث، وأصبحت دولة لها كلمة فى كل ما يخص شئون العالم خصوصا منطقة الشرق الأوسط.

ونتيجة للمد القومى قامت الوحدة المصرية السورية أمل العروبة، ثم حدث التآمر من قبل أعداء مصالح الشعوب من المرتزقة ومحركيهم من قوى

الاستعمار الآفل نجمه بعد حرب السويس بتمويل ودعم من قوى الرجعية المسيطرة على أبدان شعوبها والمحمية والجالسة على عروشها بضمان وكفاله الولايات المتحدة الأمريكية التى أضحت وريثة لبريطانيا وفرنسا فى منطقتنا العربية بعد حرب السويس.

وقد واكب كل هذا المد القومى نمو العمل الطلابى؛ فمن بدايات متواضعة حيث كانت اتحادات الطلاب بالتعيين فى الفترة من ١٩٥٤ إلى ١٩٥٨ وتقتصر على الطلاب الأوائل فى فرقهم الدراسية، إلى انتخابات طلابية بمشاركة رواد من أعضاء هيئات التدريس، إلى اتحادات طلابية مع وجود أعضاء من هيئة التدريس كمستشارين فى الكليات والجامعات.

وكانت النقلة الكبرى بتشكيل الاتحاد العام لطلاب الجمهورية؛ حيث عُقدَ مؤتمره الأول فى ١١ فبراير ١٩٦٠؛ بمبنى كلية التربية الرياضية بالهرم ثم كانت جلسته الختامية بقاعة الاحتفالات الكبرى بجامعة القاهرة تحت رعاية الرئيس جمال عبد الناصر، الذى استقبل أعضاء مجلس الاتحاد العام لطلاب الجمهورية العربية المتحدة بمبنى مركز شباب الجزيرة، عقب افتتاحه لفعاليات أسبوع شباب الجامعات الذى نظمته فى هذا العام المعاهد العليا بملاعب النادى الأهلى بالجزيرة.

استمر نمو العمل الطلابى بالجامعات بعد ذلك ؛ حيث اكتسب الطلاب مهارة الإدارة والقيادة الديمقراطية وحيث أتيح لهم المشاركة فى الحركة الطلابية العالمية بالاشتراك فيها وتبادل الوفود مع الاتحادات العربية والأجنبية، مما كانت حصيلته ظهور كوادر ناضجة ومتمرسة للعمل العام.

غير أن تكوين منظمة الشباب بالاتحاد الاشتراكى فى العام ١٩٦٥، ومحاولة التنظيم احتواء العمل السياسى بالجامعات، وصدور قرارات عام ١٩٦٦ بتبعية عمل اتحادات الطلاب بالكليات والجامعات إلى لجان للاتحاد الاشتراكى بتلك الجهات، وباتت قرارات الاتحادات الطلابية خاضعة فى التنفيذ لموافقة أمين

وحدة الاتحاد الاشتراكى بالكلية أو الجامعة، الأمر الذى أدى إلى صدام بين المنظمة والاتحادات الطلابية - لأسباب ستضح فى سياق الأحداث القادمة - حيث أصبح للمنظمة عدد محدود من الطلاب المدعومين من التنظيم السياسى، وقتذاك نظر إليهم بشك وارتياب حيث قام بعضهم، بفهم خاطئ، بكتابة التقارير ضد زملائهم وأستاذتهم الأمر الذى أثار حفيظة المجتمع الجامعى واستيائه الشديد.

بدأت أجواء عام ١٩٦٧ تظهر فى الأفق، وأخذ دور منظمة الشباب يتمدد فى الجامعات محاولة بأسلوبها فرض الوصاية على العمل الطلابى والهيمنة على الأنشطة وهو ما أدى إلى ما يمكن وضعه بصدام من يطلقون على أنفسهم الثوريين أمام من أطلقوا عليهم طلاب الاتحادات التقليديين، إلى أن كان اليوم المشؤوم يوم الهزيمة التى زلزلت كيان الأمة وفى مقدمتها شبابها وعمالها، كانت هزيمة ٥ يونيو ١٩٦٧ كابوساً جثم على صدر الأمة، وأضاع حلم الأجيال الصاعدة، التى وعدت بكل الآمال الكبار، بيد أن تلك الآمال ضاعت وتبخرت فى ساعات محدودة.

اعترف الرئيس عبد الناصر بالهزيمة وأعلن مسئوليته عنها، ووقف الشعب يرفض تلك الهزيمة؛ داعيا لاستمرار الكفاح وعدم الاستسلام، وبدأت القوات المسلحة تستعيد قوتها وتنظيم أمورها، وكان تصديها للعدو فى رأس العش ثم إغراق المدمرة الإسرائيلية إيلات شمال شرق بورسعيد مساء يوم ٢١ أكتوبر ١٩٦٧، وقد تأهلت قواتنا إبان حرب الاستنزاف لرد العدوان وتحرير الأرض وهنا لابد أن نذكر باعتزاز دور الشهيد عبد المنعم رياض وغيره من الرجال الأبطال.

كان لابد من تحديد المسئولية عن الكارثة والهزيمة غير المبررة فى ٥ يونيو ١٩٦٧، فكانت محاكمات بعض قاده أفرع القوات المسلحة، وبخاصة الطيران، غير أن الأحكام التى صدرت كانت صادمة- بالحق أو بالباطل- لجموع الشعب وهنا تحركت طلائعه من طلاب وعمال وكانت مظاهرات فبراير ١٩٦٨ .

فماذا حدث؟

ما أن أعلنت الأحكام العسكرية على بعض القادة حتى انفجرت مشاعر الغضب والاستنكار لها، فاندفعت جموع الطلاب فى الجامعات" القاهرة وعين شمس و الإسكندرية وأسيوط والأزهر" وكذلك المعاهد العليا إلى الشارع؛ معلنين غضبهم واحتجاجهم والشعب كله على ذلك، مطالبين بإعادة المحاكمة وإجراء تغيير فى الأجهزة السياسية، حيث أن الحساب لم يكن فى حجم الكارثة التى حلت بمصر.

وسارت مظاهرات الطلاب من الجيزة إلى المنيل إلى ميدان التحرير ومن العباسية إلى ميدان عبده باشا إلى العتبة ومن جامعة الأزهر إلى وسط المدينة، والتقى الجميع فى التحرير وباب اللوق حيث أنضم إليه عمال مصانع حلوان، كانت المحطة الرئيسية لمترو حلوان تنتهى فى باب اللوق، وانقسمت الجموع إلى مجموعات طافت شوارع القاهرة حيث بدأت بمبنى الأهرام القديم فى باب اللوق منادية أين الصراحة يا أبو الصراحة [قاصدين الأستاذ محمد حسنين هيكل] ثم إلى شارع الجلاء والصحافة لأخبار اليوم معلنين غضبهم على الصحافة والإعلام؛ مطالبين بتغيير شامل لقيادات الإعلام المصرى، واستمر سير المظاهرات هاتفة لا صدقى ولا الغول عبد الناصر المسئول (كان الرئيس قد أعلن قبل ذلك فى خطاب التنحى مسئوليته عن الهزيمة) وهكذا استمر هذا الاحتجاج المؤلم من جيل نشأ فى حضن الثورة وآمن بها وبمشروعاتها فى نهضة مصر، ولكن أتت الهزيمة الصاعقة لتهز كل ذلك، ومن خلال هذا الغضب الجامح ألقى القبض على بعض الطلاب حيث أودعوا سجن القلعة؛ وقد أمر الرئيس عبدالناصر بالإفراج عنهم بعد ذلك.

فى نفس الوقت الذى عمت فيه المظاهرات شوارع القاهرة كانت هناك مؤتمرات تعقد فى الجامعات لقيادات الطلاب المدعومة بحماس وغضب كل جماهير الطلاب وبعض أعضاء هيئات التدريس، ففى جامعة عين شمس عقد

مؤتمر طلابى بمدرج فلسطين؛ استمر حتى المساء وحضره مع الطلاب عميد الكلية د/على كامل، ود/ أحمد عبد الوارث ورئيس الجامعة الفاضل والمناضل المحترم د/ حلمى مراد" عين بعد ذلك وزيراً للتربية والتعليم"، وبعض مناقشات ومداخلات عديدة ثم الاتفاق على تحديد مطالب الشعب والطلاب لرفعها لرئاسة الجمهورية بوفد من الجامعة.

وحيث كانت الكارثة واضحة ومطالب التغيير ضرورية وعاجلة فقد تقاربت رؤية هذه المؤتمرات لمطالبها والتى كان أهمها :

- إطلاق الحريات.
- إجراء تغيير فى التنظيم السياسى.
- تغيير شامل لقيادات الصحافة والإعلام.
- البدء فى اتخاذ خطة عمل لإزالة آثار العدوان.
- إعادة محاكمة المسئولين عن النكسة وغير ذلك من قضايا يعانى منها المجتمع.

ماذا كان رد فعل النظام ؟

بما أن هذه المظاهرات كانت تعبيرا تلقائيا ومخلصا لأمال الأمة ومستقبلها، حيث حددت مطالب الشعب فى ضرورة التغيير بمشاركة عناصره وقواه الفاعلة فى إدارة شئون البلاد، فقد تعددت بعد ذلك المؤتمرات السياسية على كافة المستويات والمحافظات للبحث فى أسلوب تنفيذ تلك المطالب العاجلة والتى رفع لواءها طلاب الأمة.

استجاب النظام الحاكم لمطالب الشعب وطلابه، حيث ذكر الرئيس عبد الناصر أنه مع الشعب وطلابه فى ضرورة التغيير على كافة المستويات، وصدر فعلا بيان ٣٠ مارس١٩٦٨، رصد فيه برنامج التغيير للمرحلة القادمة، بإعادة بناء التنظيم السياسى، وإحداث تغييرات فى بعض الصحف ووسائل الإعلام، مع

استمرار التشاور مع كافة قطاعات المجتمع لوضع خطة عمل مناسبة للتصدى وإزالة آثار الهزيمة العسكرية، التى رفضها الشعب وأصر على المقاومة والكفاح لتحرير الأرض واسترداد الكرامة.

وتحقيقًا لذلك فقد شكلت وزارة جديدة كان نصف أعضائها من الخبراء وأساتذة الجامعات المشهود لهم بالكفاءة وحسن تسيير الأمور.

استمراراً لسياسة سماع رأى الشعب وإشراكه فى حل قضاياه، وبعد المؤتمرات السياسية، والنقابية والطلابية التى عمت البلاد فقد توج كل ذلك بمؤتمر للمثقفين عقد فى مايو ١٩٦٨، بقاعة الاحتفالات بجامعة القاهرة بحضور الرئيس عبد الناصر، وكان هذا المؤتمر هو قمة الحراك الوطنى والذى تفاعل فيه الجميع قيادة وشعبا، أمام هول الهزيمة مبتغين الطريق القويم والأسلوب الناجع لإدارة شئون وطن لا يستحق ما حدث من هزيمة ومهانة أمام الأصدقاء والأعداء، بسبب المجاملات الشخصية وعلو نفوذ أهل الثقة على أهل الخبرة والعلم والاختصاص.

وقد تكون المؤتمر من القيادات الفكرية والثقافية فى الجامعات والمعاهد العليا، وقيادات من الاتحاد الاشتراكى، واتحادات الطلاب والذين تحدث عنهم المرحوم د/ عبد الحميد حسن أمين اتحاد طلاب جامعة القاهرة الذى استضاف اللقاء متفقا مع باقى أمناء اتحادات طلاب الجامعات على عرض وجهة نظرهم أمام الرئيس عبد الناصر؛ فى ضرورة رفع الوصاية عن الطلاب (قصد بها وصاية الأساتذة ومنظمة الشباب).

وكان رد الرئيس عبد الناصر على مطلب رفع الوصاية مقررا [أنا موافق على رفع الوصاية، علما بأنه لا أدرى شيئا عن الوصاية التى تقصدها] هكذا بكل السماحة والود ورح القائد المتفاعل مع مطالب شعبه وفى طليعته شبابه، هكذا كانت الاستجابة.

بعد انتهاء هذا المؤتمر ومحصلة لما دار فيه من مناقشات ومداخلات من

شخصيات جامعية وسياسية عديدة، كان منها من حاول التقرب من السلطة باتهام الطلاب بالرعونة وتعريض البلاد للمخاطر بهذه التظاهرات التى أساءت لمصر فى الداخل والخارج، وكان بين هؤلاء أحد قيادات الجامعة، وأمين الاتحاد الاشتراكى بإحدى المحافظات الكبرى، لكن الحضور والرئيس نفسه لم يتقبلوا هذا الكلام ولا ذلك المنطق.

وعموما فقد كانت المحصلة النهائية لهذا المؤتمر بالنسبة للطلاب مكسبا للمطالب التى عرضت على رئيس الجمهورية مباشرة والتى اقتنع بها، وزاد على ذلك رغبته فى معرفة المزيد من أمانى وتطلعات طلاب مصر الخير لأمتهم بالإصرار على التغيير وقيام الدولة على بنيان قوى وسليم فكانت دعوة سيادته لأمناء اتحادات طلاب الجامعات للاجتماع بهم ومناقشتهم فى أمور الوطن وتم ذلك فعلا بمنزل الرئيس جمال عبد الناصر بمشية البكرى؛ بحضور كل من عبدالحميد حسن جامعة القاهرة ، حلمى نهنوش جامعة عين شمس، عاطف الشاطر جامعة إسكندرية، منصور ساطور جامعة الأزهر، محمد عوض جامعة أسيوط، محمد الناظر المعاهد العليا.

وقد تقدموا للرئيس بالمطالب التالية :

- عقد مؤتمر اتحاد طلاب الجمهورية (حيث الاتحاد مجمد بسبب تدخل منظمة الشباب منذ عام ١٩٦٦).

- إخراج منظمة الشباب وعدم تدخلها فى أمور الجامعة والعمل لأجلها.

- تخفيض رسوم المدينة الجامعية والوجبات التى تقدم للطلاب، وزيادة غرف المدينة الجامعية (كانت تعتبر قروش قليلة بما عليه الحال اليوم).

- زيادة المخصصات المالية المعتمدة لإقراض الطلاب من بنك ناصر الاجتماعى.

- زيادة المبالغ المعتمدة والمخصصة لتجهيزات المعامل والورش بالجامعات.

ولقد استجاب الرئيس جمال عبد الناصر لما طلبه أمناء الاتحادات فعلا، ونركز على خروج منظمة الشباب من الجامعات؛ لفض الاشتباك الذى حدث منذ قيام المنظمة مع الاتحادات الطلابية ابتداء من العام ١٩٦٦ وحتى موافقة الرئيس، ثم الإعداد لعودة الاتحاد العام لطلاب الجمهورية دون تدخل وصاية من أى جهة تنفيذية أو سياسية.

وكان أن عقد المؤتمر السابع لاتحاد طلاب الجمهورية فى الفترة من ٨/٣٠ إلى ٦٨/٩/٧، بمقر المعهد العالى للتربية الرياضية للبنات بالجزيرة، وتم انتخاب مجلس جديد ساهم مع قوى كثيرة فى المجتمع فى تلاحم الجبهة الداخلية مع قواتنا المسلحة التى أعيد تنظيمها واستجماع قدراتها لمواجهة العدوان، فكانت فصائل خدمة الجبهة التى خدمت فيها أفواج من طلاب الجامعات مع أخوانهم المقاتلين على امتداد الجبهة" من بورسعيد إلى الإسماعيلية والسويس" بمعايشتهم والمساعدة فى الأعمال التى تناسب تخصصاتهم وقدراتهم البدنية فى تلاحم وتراحم؛ أكد قدرة مصر على توحيد صفوف أبنائها إذا ما أحدقت الأخطار.

لقد كانت تلك ملامح لما هو قادم؛ حيث امتد نضال المقاومة للعدوان باستمرار حرب الاستنزاف للعدو على كل المحاور إلى داخل سيناء ببطولات أبناء القوات المسلحة فى منظمة سيناء العربية خلف خطوط العدو، وها هم طلاب مصر من جيل ١٩٦٨؛ الذين اتم تجنيدهم عقب تخرجهم بالقوات المسلحة ليشهدوا ويسهموا فى تحقيق العبور العظيم؛ رداً للكرامة وإثباتاً وتأكيداً أن الجندى المصرى لم يحارب فى ١٩٦٧، وأنه الآن فى أكتوبر ٧٣ يعلن عن نفسه كمحارب جسور.

رحم الله شهداء مصر الذين تصدوا للاستعمار والصهيونية، وروا بدمائهم الذكية شجرة الحرية، وأعلوا من شأن أمتهم سياسيا واقتصاديا الأمر الذى نعم به آخرون لم يقدموا لأمتهم مثل ما قدم هؤلاء الأبطال، فالمجد والخلود

والرحمة لهم والخزى والعار لمن تنكروا لتضحياتهم من أجل وطن عزيز كريم يسوده العدل والحرية.

ملحق الشهادة

رسالة الرئيس عبد الناصر للمؤتمر السابع لاتحاد طلاب الجمهورية المنعقد فى الفترة من ٨/٣٠ إلى ١٩٦٨/٩/٧ .

أيها الأخوة :

أبعث لكم بأصدق التحية، وأطيب الأمانى فى مناسبة انعقاد مؤتمركم إن كل ما تحققوه من أعمالكم المتصلة وبينهما هذا المؤتمر الذى تبدون أعماله اليوم لا يعترض أثره على الحركة الطلابية فحسب وإنما هو يمتد تأثيره إلى حياة ومستقبل أمة.

إن هذا الدور التاريخى الذى يحمله شباب الجامعات دائما فى تاريخ التطور فى بلدنا وفى كل بلد، لم يكن فى يوم من الأيام بمثل هذه الأهمية التى تأكدت فى ظروف التحدى للخطر الذى يواجهنا على طريق المستقبل.

إنكم شباب الجامعات الآن، سوف تتحملون مسئولية مزدوجة بالغة الأهمية عميقة المضمون جانبها الأول أنه سوف يكون عليكم أنتم أبناء هذا الجيل من شباب الجامعات تحويل الكم العربى إلى كيف عربى.

إن تطور الحياة العربية سياسيا واجتماعيا وثقافيا إلى المستويات المعاصرة للتقدم الإنسانى يعطى الجموع العربية الهادرة وزنها الحقيقى، وبالتالى سيادتها الحقيقية على أرضها ومصيرها.

جانبها الثانى أنه سوف يكون عليكم أنتم يا أبناء هذا الجيل من شباب الجامعات مسئولية الدخول فى السباق الحضارى الرائع.

بارك الله جهودكم ورعاها وقاد خطاكم نحو الحق والخير ولتكونوا الأوفياء والأبناء لأمتكم العظيمة، ولرسالتها المقدسة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

جمال عبد الناصر

محمد أيوب محمد مصطفى

- أمين اتحاد طلاب جامعة عين شمس ١٩٦٠/٥٩ .
- أمين اتحاد طلاب الجمهورية العربية المتحدة ١٩٦٠ .
- عضو المجلس الأعلى للشباب والرياضة عام ١٩٦٠/٥٩ .
- عضو اللجنة التحضيرية للمؤتمر الوطنى للقوى الشعبية.
- عضو لجنة تقرير الميثاق الوطنى.
- الأمين المالى وعضو الهيئة التنفيذية للاتحاد العام للطلبة العرب فى أوربا ١٩٦٥/٦٣ .
- مستشار الاتحاد العام لطلاب الجمهورية ٦٨- ١٩٧٩ .
- مدير عام رعاية الشباب بجامعة عين شمس حتى عام ١٩٩٥ .